الجماعة السلفية للدعوة و القتال (في الجزائر)

(خواطر عزاء)

للشيخ أبي الحسن رشيد (حفظه الله)

كثيرة هي المصائب.. و كثيرة هي الأحداث و الجراح التي تثخن جسم الأمّة عموما و المجاهدين خصوصا.. لا يكاد جرح يندمل حتى نُكلَم بجرح آخر.. في القريب فَقدنا أخانا أبا البراء أحمد -رحمه الله و تقبّله في الشهداء- رئيس الهيئة الشرعية للجماعة السلفية للدعوة و القتال و قبله أبا إبراهيم و أسامة و عكاشة و بلال و عبد البر، و فقدنا أبا سياف و عمر السيف و القائمة طويلة.. و ها نحن الآن نُفجع في أخ جديد هو الحبيب أبو مصعب الزرقاوي -رحمه الله و تقبّله في الشهداء-.

إنّ أيّ إنسان (مسلما أو كافرا، مجاهدا أو قاعدا) عند سماع النبأ سَتَمُرّ بمخيلته صور و تدور حول بها خواطر، وأنا واحد من المسلمين عامة و المجاهدين خصوصا لا أسلم من ذلك، و ما دامت النائحة ليست الثكلى و أنا المعزَّى قبل أن أكون معزّيا فسأحاول أن أسجّل ما جال بخاطري مواساة لنفسي الجريحة و سائر الثكالى عرفانا بجميل الرجل و نصرته للمسلمين.. و الله لا يضيع أجر المحسنين.

الخاطرة الأولى: أخي المجاهد {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ}، {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً}، {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ}، {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ

مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ # الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}.. أخي السائر على درب الجهاد إلى إحدى الحسنيين أذكر مصابك برسول الله صلى الله عليه و سلم.

وَ هَلْ عَدَلَتْ يَومًا رَزِيَّةَ هَالكٍ * رَزِيَّةَ يَومَ مَاتَ مُحَمَدٌ**
وَ مَا فَقد المَاضُونَ مَثْلَ مُحَمَدٍ * وَ لَا مِثْلُهُ حَتَى القِيَامَةِ يُفْقَدُ**
وَ اللهِ أَسْمَعُ مَا بَقِيتُ بِهَالِكٍ * إِلَّا بَكَيتُ عَلَى النَبِيِّ مُحَمَدٍ**

الخاطرة الثانية: الإسلام صنعة الرجال، و لولا الإسلام لكان رسول الله صلى الله عليه و سلم مجرد رجل من قريش، و لولا الإسلام و اختيار الله تعالى له ما كان أبو بكر و لا عمر و لا عثمان و لا علي و لا غيرهم من رجال الإسلام ـ أبطاله و علماؤه و دعاته ـ رحمهم الله أجمعين... و الإسلام لم و لن يعقم يوما عن صناعة الرجال، الذين يبذلون أعمارهم و أرواحهم لمرضاة ربهم سبحانه و تعالى ثمّ يمضون لموعود الله تعالى، و تبقى الإسلام يصنع آخرين و تبقى الدنيا دار ابتلاء.. و كل إنسان يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها، و عند اجتماع الخصوم {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}.

الخاطرة الثالثة: الزرقاوي -رحمه الله- ليس أول قائد يُقتل.. قُتل قبله من الأنبياء و المرسلين و حواريّيهم خلق كثير.. قُتل عمر رضي الله عنه شهيد المحراب و قتل عثمان رضي الله عنه شهيد الدار، و قُتل علي رضي الله عنه... و لم يخل تاريخ الأمّة من مصارع الأبطال..

و نحن أناس لا نرى الموت سبّة * على كل من يحمي الذّمار و يمنع**

جلاء على ريب الحوادث لا نرى * على هالك**
عيـنا لنا الدهر تدمع

بل القتل في سبيل الله سبحانه و تعالى مفخرة للمقتـول و مفخرة للإسـلام و المسـلمين، فـأعظِم بهـا عقيـدة يضـحّي أهلها في سبيلها بالغالي و النفيس.. {وَكَأَيِّنْ مِـنْ نَبِـيٍّ قُتِـلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِـي سَـبِيلِ اللَّـهِ وَمَـا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}.

الخاطرة الرابعة: الزرقاوي و غيره، أنفـس ضـرب اللـه لها أجالا لن تتعداها {كِتَاباً مُؤَجَّلاً}.. و القتال لن يقـدّم أجلا كما أن القعود لن يؤخر أجلا {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُـوا مِـنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَـذَرَ الْمَـوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّـهُ مُوتُـوا ثُـمَّ أَحْيَاهُمْ}.. لكن متى يدرك أحدنا أجله و أسرى الجبـن أنهم لن يعيشوا أكثر من آجالهم.. تلك هي سـيرة خالـد بن الوليد رضي الله عنه و لا نامت أعين الجبناء.

الخاطرة الخامسة: إنّ الدين بحفظ الله {إِنَّا نَحْـنُ نَزَّلْنَـا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}، و ما البشر إلّا ترجمة لذلك القـدر المحتـوم.. و لا يـزال اللـه يغـرس غرسـا يسـتعملهم فـي طاعته.. {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِـنْ قَبْلِـهِ الرُّسُـلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَـابِكُمْ وَمَـنْ يَنْقَلِـبْ عَلَـى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّـهُ الشَّـاكِرِينَ}، إنّنـا نحبّ أولئك الرجال الذين يُحيون في الأمّـة معـاني العـزّة و البسالة و التضحية في سبيل العقيدة.. لن يزيدنا قتلهـم إلا يقينـا بموعـود اللـه سـبحانه و تعـالى {هَـذَا مَـا وَعَـدَنَا اللَّـهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ}.. {فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ}، و إنّنا نقول كما قال أنس بن النضر رضي الله عنه للصـحابة يـوم أحد: "قوموا فموتوا على ما مات عليـه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه و سـلم".. نعـم إخـوة الإسـلام و الجهـاد قولـوا لأعدائكم: الحرب سجال يوم بيوم، و اللـه أعلـى و أجـلّ، لا سواء قتلانا في الجنّة و قتلاكم في النار، و مـن يغـالب اللـه يُغلب.

فنلنا و نال القوم منّا وربما * فعلنا و لكن ما لدى الله أوسع**

الخاطرة السادسة: قد تبدو نهايـة أخينـا الزرقـاوي فـي ميزان المخلّفين -عبيد الـدنيا- نهايـة أسـيفة و لربمـا قـالوا بتبجّح ماذا ربح و مـاذا سـيربح أمثـاله؟ تـرك أهلـه و بلـده و مستقبله ثمّ تاه في بلاد الناس ثمّ قُتل.. و ينقسم القاعدون إلـى متأسـفٍ و متشـفٍ و لهـؤلاء نقـول: لمـاذا تكتبـون و تدرسـون عن هجرة رسول اللـه صلى اللـه عليـه و سلم و هجـرة أصحابـه الـذين تركـوا مسـقط رؤوسـهم و أحـابوا الفيافي و القفار يحملون الإسلام -دعـوة و قتـالا-؟! لمـاذا يكون أولئـك مفخـرة، و رجـال الـيوم -بعضـهم على آثـارهم- مغفّلـون؟.. و لمـاذا تخـادعون أنفسـكم و النـاس؟.. لمـاذا تطفّفون الموازين؟.. لكنهـا دعـوة رسـول اللـه صـلى اللـه عليه و سلم أصابتكم: (تعس عبد الدينار تعس عبد الـدرهم تعس و انتكس و إذا شيك فلا انتقش).. و إن الدنيا ارتحلـت مدبرة و إنّ الآخرة جاءت مقبلة.. و كل أمّ يتبعها بنوهـا... و ما عند الله خير و أبقى.

بنو الحرب لا نعيا بشيء نقوله * و لا نحن ممّا جرّت الحرب نرتدع**

بنو الحرب إن نطعن بأسيافنا نخُش * و لا نحن من ظلمائها نتراجع**

الخاطرة السابعة: الكل يتباكى على المبادئ و القيم.. و يتباكى على الإسلام و تاريخه المجيد، و يتباكى على الأمّـة و تتعرّض له من غزو مادي و معنوي القصد منه ردّة الأمّة عن دينهـا.. الكـل يحسـن التبـاكي.. و يـأبى اللـه إلّا أن يبتلـي بالسرّاء و الضرّاء {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِـدِينَ مِنْكُـمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}، {فَلَيَعْلَمَـنَّ اللَّـهُ الَّـذِينَ صَـدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}.

إنّ بذل الدم هو الذي يكشف زيف الدموع، و يمحّص دمع الثكالى من دموع التماسيح.. المجاهدون هم فجر الأمّة القادم، و هم درعها الواقي حقًا.. هم الذين إذا قالوا فعلوا، الباذلون النفس و النفيس، يطلبون الموت مظانّه دفاعا عن حوزة الإسلام و حرمات المسلمين..

هم الذين حملوا همّ الأمّة بصدق و لبّوا النّداء و المنادي هو الله جل علاه {وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا}.. لقد تاجر المرتزقة بمعاناة المستضعفين، و لن يكشف سوءتهم إلّا قوافل الجهاد في سيأتي اليوم الذي تحترق فيه جميع أوراقهم، و الويل لهم يومئذ من الله و أمة الإسلام.. {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ}

الخاطرة الثامنة: لا أكتمكم إخواني أنه حين علمت مقتل أخي الزرقاوي قلت في نفسي: الموت حق و الزرقاوي سيموت أو يقتل اليوم أو غدا و تذكّرت الذين شغفهم الزرقاوي حبّا.. من سيقف مواقفه، و يبذل بذله، من سيقول بلسان حاله و مقاله: أنا جذيلها المحكك و عذيقها المرجّب.. من يقول: نم يا زرقاوي قرير العين، نحن خلفاؤك ماضون على الدرب بنفس العزم و لن نخذل ثغور الإسلام و الجهاد ماض إلى قيام الساعة، لا يوقفه قتل قائد أو زعيم، فعقيدة نربط بها على قلوبنا.. لكن:

لكل شيء لوما فكّرت أسباب * فليس دون القرع فتح الباب**

إنّ الجهاد كما يحتاج إلى ذوي الشجاعة يحتاج إلى ذوي الرأي و العزيمة و النظر البعيد و النَّفَس الطويل.. لقد خذل القاصي و الداني الجهاد و المجاهدين -إلّا من رحم الله و قليل ما هم- و ما بقي لأهل الجهاد إلّا التشمير عن

ساعد الجدّ و بذل الوسع و استنفاذه من أجل بلوغ الهدف، و الإعتماد على الله أولا ثمّ على النفس {فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}.. هكذا و إلّا كنّا كأولئك المتشدّقين ببطولات السّلف -جعجعة بلا طحين-، المسؤولية عظيمة، و كلما قُتل أخ عظمت التركة، و إنّ الغضبة التي لا تعقبها وثبة غضبة الضعيف، و المعصوم من عصمه الله تعالى.

الخاطرة التاسعة: قد تظنّ أمريكا و من دار في فلكها -من حكومات و شعوب- أنها حقّقت انتصارا، و قد تظنّ الشعوب السائمة أنّ الخطر انحسر، و بالإمكان أن ننعموا بالأمان بعد مقتل الزرقاوي فلهم أقول: الحمد لله الذي أكرم أخانا بقتلة شريفة في سبيله، و الكريم لمن يختار لنفسه القتلة الشريفة، و ليعلم الجبناء أنّ قافلة الجهاد انطلقت و أمّة الإسلام بذرية [illegible] يقمتها تبدو، و لن تتراجع بإذن الله، و ما نبذله -قلّ أو كثر- هو مهر الخلافة الراشدة على منهاج النبوة.. و أمّة محمد صلى الله عليه و سلم لن تموت بقتل رجالها، و لم تعقم عن إنجاب الأبطال و لكل زمن رجاله و دونكم أرض الأفغان و الشيشان و فلسطين و الجزائر و غيرها لا زالت صامدة تصاول الأعداء رغم كل ما قدّمت من الرجال {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

فمهما يهم الناس ما يكدرنا * فنحن له من سائر الناس أوسع**

فلو غيرنا كانت جميعا تكيده * البرية قد أعطوا يدا و توزعوا**

و في الأخير.. يبقى الجهاد ذروة سنام الإسلام، قمة سامقة لا يحتمل شقّتها الكسالى القاعدون، قمّة يتساقط دونها من عَلقت قلوبهم بالدنيا و زخرفها، و من أرهبهم بنو الأصفر فتسرّوا بـ {لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ} و {لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ}، و {ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي}.

دم الشهيد نور و نار.. و في هذا الطريـق الطويـل بسـمات تخنقها زفرات و حسرات أشربت الأحزان و الأشجان.. نور خـافت يلفّـه الظلام.. آمـال يتهـدّدها الضـعف و الخـذلان.. جذوة نار تضعفها الدموع.. آلام و آمال و تبقى الأمّـة تشـقّ طريقهـا نحـو هـدفها المنشـود، نصـر و خلافـة أو شـهادة و جنّة.. و ليعلم أنّه لا بدّ للولادة من مخاض و لا بـدّ للمخـاض من ألم، و المولود يولد ضعيفا، فَلْنَفْدِه من دمائنا و عرقنـا و دموعنا و أشلائنا ن و سيكبر و يحطّم الأغلال و يصنع المجـد و يمسح الدموع عن اليتامى و الثكالى، سيبزغ الفجر مبـدّدا الظلام، و سحقا سحقا لخفاش تمنى أن تكـون الـدنيا كلها ليلا دامسا، و لن يخلف الله وعده..

{وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

و أخيرا..

يا ربّ فاجمعنا معا و نبيّنا * في جنة تشفي عيون الحسّد**

و إنّا لله و إنّا إليه راجعون و الحمد لله رب العالمين.

المصدر: الجماهيرية - العدد الثامن
(مجلة دورية تهتم بشؤون الجهاد الجزائري)

جمادى الثانية 1427 هـ
يونيو/حزيران 2006 م